

طبقاتنا المنسية



عرانس ماتريوشكا من الحضارة الروسية

من عظيم خلق الله...مقاربتنا العجيبة مع الكون حولنا .. الكون الذي جعله الله طباقا.. السماء طباقا ..والارض طباقا...والبحر ..والفلك ..و جذوع الشجر ..وكافة الخلق.
كذلك الانسان المكلف بالعمارة و الجمال والسلام ..انما هو طباقا.. ليستطيع ان يتناغم الكون فيه وحوله ،، ف يفهم ويقود و يعمر .

حين أراد الله لنا التكون الأول ..في الأيام الأولى لنا كمضغة تكاد لا ترى .. تكوّن فينا أكثر من خلايا تنقسم وتتكاثر و تتمدد ..و اودع المتناهي العظيم في هذه المضغة اسرار عظمى لا ترصدها الاشعة الصوتية التي تحدد حجم الجنين .. لأن في اللحظة التي اتحد فيها قطبي الحياة مكونين كثر المضغة ..تكون في هذا المتناهي في الصغر ..قدر.. و نيه ..و فطرة ..و صفات ..و خصائص .
و مع الوقت انهالت الحياة حول هذا المتناهي الصغر تحميه كأعظم كثر تغلفه بطبقات تجعله يكبر ويقوى ويشد عوده ..لكن جوهره باقي مضغة مغلقة بطبقات اوصلته ليكون جنين ليكون وليد ..طفل ..فتى ..شاب ..ناضج ..مكتمل ..كبير ...وكل طبقة هي بدورها طبقات دقيقة تفصيلية تتكون على مستوى اللحظة.

نحن في الواقع لا ينتهي منا حال و يبتدئ حال جديد ..نحن في حقيقة الامر نتغلف طبقة تلو الطبقة ..وعلى ذلك يبقى فينا جميعهم .. مضغة مودع فيها اسرارنا ..جنين يرفس معلناً وجوده ..طفل مقبل بتساؤل ودهشة على ما حوله ..شاب مندفع جريء وربما ارعن .. ناضج شغوف ..كبير حكيم .

غير ان ما يميز انسان عن الاخر ..هو مقدار ما عاشه فعلا من طبقاته اثناء حياته ، ولا استغرب ان البعض مفقود عنده طبقة طفل لأنه قاسى القهر والحرمان ..والبعض لا يتمتع بطبقة الشباب ..لأنه أمضاها وهو مكبل بالقيود والتوجهات ..والبعض مفقود عنده النضج ..لأنه ببساطه لا يوجد لديه طبقات تسند نضجه ..وهكذا نصل أن هناك من وعائه غني مغني بمئات الطبقات.. وهناك من هو طبقة ميلاد و موت لا أكثر ..وبين الميلاد والموت ..فراغ عظيم .

لأهل الطبقات يأتي السلام و الجمال و السعادة..من وجود طرق اشعاعية متصلة تربط اول طبقة باخر طبقة فينا ..طرق مفتوحة على الدوام ..تجعلنا على اتصال دائم بفطرتنا و نيتنا و دهشتنا وتلقائيتنا و صدقنا و تساؤلنا ..الخ ، هذه الطرق تفتح مسارات الحركة بسلاسة . تأتي فرحه ..هديه ..دهشه فيحضر فينا الطفل الصاحب الحر ليغلفنا في لحظات فيكون الطاغي علينا في صوتنا وكلماتنا وبريق روحنا واعيننا ...يلتقينا الحب الذي طالما انتظرنا ..و في أي عمر ..فيسرع في طرقات الطبقات الشباب الشغوف الكامن فينا الذي يختبر المشاعر و تفتح ازهار الحب لأول مره في داخله . نحن في الواقع حين نعي و نحرر كوننا العظيم الداخلي ..انما نعيش حاله حياة ديناميكية مستمرة تنتقل فينا طبقاتنا بحسب مقضى الحال ..حاله من الحركة السرمدية تشبه حركة الافلاك ..وتبدل السماء ..و ارتعاشه الأرض ..ولكم مطلق الخيال في فهم كيف يغني ذلك حياتنا غني عظيم وكيف نعكس هذا الغنى على كل ما حولنا ...وكيف نصنع بذلك صلة عظمى وكبرى و عميقة وشاملة بين ذاتنا العميقة ..وذاتنا المحيطة ..كيف يكون المحيط هو جزء منا ..وكيف اننا نصبح جزء من المحيط ..وهذا هو المبتدأ بلا منتهى .

نجوب العالم الصغير سफراً و اكتشافاً ... و ينسى البعض ان يسافر في ذاته ..في كونه العظيم الذي يفوق مدن الأرض قاطبه عظمة و ابهاراً...السفر الداخلي الذي يكتشف فيه تضاريسه و تاريخه ..وتلمس طبقاته و معالجة ما أصابها من ضرر ...وتفقد طريقه ..فيفتح منها ما كان مسدود ..ويخرج ركام الاخرين والزمن منه ..فتعود طبقاته صقيلة ..تتخللها طرق مضاهء مزهرة ...منسأباً فيها موسيقاه الخاصة التي لا تشبه أي موسيقى .

نحن نرى و في كل عمر.. فزع في أرواح و عيون البعض ..ينشد ما يفقده من السعادة والراحة والجمال ..فزع يجعله يركض في كل اتجاه فيصبح شتات ..ليجمع اطراف ما يعتقد مفقود فيه ...فيقبل ان يتنازل عن اصالته العميقة واسراره الفريدة ..فيقلد و يستنسخ تجار الوهممرشد روجي ..دعاة دين متاجرون ..مثقفون مضللون ..برمجة عصبية ...تجارة مال تلتهمه ..مشارط تجميل ..ذبذبات الطاقة ..يوقا ..وكارما ..كتب تقولب ...الخ .



و كان بمنتهى البساطة ..بالإمكان أن يصل لكل ما يريد ..فقط ان هو اتصل بذاته الفريدة ولم يسمح لأحد ب ردم طبقاته و طريقه ، ان هو ادرك ان سر الاسرار كامن .. فيه و منه و اليه .

وأن الوقت لا يفوت ابدأً للتوقف عن فزعه وجزعه وركضه خلف الخلف ..وأن وقتاً جميلاً عميقاً من سفر الذات ..كفيله بصنع تغيير هائل ..يكون فيها طبقات مذهلة لذاته الأصيله

عزيزة عبدالعزيز الخطيب

الجمعة 27 مايو 2016م

مجموعة كتاباته ... من الرياض